الصاعقة السابعة والثمانون: فؤادٌ ما تسلّيهِ المدامُ(*)

فـــؤادٌ مـــا تسلّيـــهِ المدامُ ... وعـمـرٌ مـثلُ مـا تهبُ اللئـامُ

ودهرٌ ناسُـــهُ ناسٌ صـــغـــارٌ ... وإنْ كـانتْ لهمْ جُـثثٌ ضـخـامُ

ومـا أنا منهمُ بالعـيشِ فـيـهم ... ولكنْ مـعـدنُ الذهبِ الرَّغـامُ

أرانـبُ غـــيـــرَ أنـهـمُ ملـوكٌ ... مـفـتَّـحـةٌ عـيـونُهُمُ نـيـامُ

بأجـسـامٍ يحـرّ القـتلُ فـيـهـا ... ومـا أقـرانُهـا إلا الطعـامُ

وخـيـلٍ مـا يخـرّ لهـا طعينٌ ... كـأنّ قنا فـوارسِـهـا ثُمـامُ(١)

خـلـيـلُكَ أنـتَ لا مـن قـلـتَ خـلّي ... وإن كـثـرَ التـجـمّلُ والكلامُ

ولو حـيـزَ الحـفـاظُ بغـيـرِ عـقلٍ ... تجنّبَ عُنقَ صـيـقلِهِ الحـسـامُ(٢)

وشـبْـهُ الشيءِ منجـذبٌ إليـه ... وأشـبَـهُنا بدُنيـانا الطَّغـامُ

ولوْ لـم يَعْـلُ إلا ذو مـحـلّ ... تعـالى الجـيشُ وانحطّ القـتـامُ

ولو لم يرْعَ إلا مـسـتـحِقٌّ ... لرُتبـتِـهِ أسـامـهُمُ المُسـامُ

ومن خـبـرَ الغـوانيَ فـالغـواني ... ضـيـاءٌ في بـواطنـهِ ظـلامُ

إذا كـانَ الشـبـابُ السُّكرَ والشَّيـ ... ـبُ هـمًـا فـالحـيـاةُ هي الحِـمـامُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي.

(١) الثمام: نبات شديد الضعف.

(٢) الصيقل: الذي يجلو السيف.

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ ... ولا كلٌّ على بخْلٍ يُلامُ
ولم أرَ مثلَ جيراني ومثلي ... لمثْلي عندَ مثلهم مُقامُ
بأرضٍ ما اشتهيتَ رأيتَ فيها ... فلَيسَ يفُوتُها إلا الكِرامُ
فهلا كانَ نقصُ الأهلِ فيها ... وكانَ لأهلِها منها التمامُ
بها الجبلانِ منْ صخرٍ وفخرٍ ... أنافا ذا المُغيثُ وذا اللُّكامُ[1]
وليستْ منْ مواطنِه ولكنْ ... يَمُرّ بها كما مرّ الغمامُ
سقى اللهُ ابنَ منجبةٍ سقاني ... بدرٍّ ما لراضعِه فطامُ
ومن إحدى فوائدِه العطايا ... ومن إحدى عطاياهُ الذمامُ
وقد خفيَ الزمانُ به علينا ... كسلْكِ الدُّر يُخفيه النظامُ
تلذّ لهُ المروءةُ وهي تُؤذي ... ومن يعشقْ يلذُّ له الغرامُ
تعلَّقها هوى قيسٍ لليلى ... وواصلَها فليسَ به سقامُ
يروعُ ركانةً ويذوبُ ظرفًا ... فما يُدرى أشيخٌ أم غُلامُ[2]
وتملكُهُ المسائلُ في نداهُ ... وأمّا في الجدالِ فلا يُرامُ
وقبضُ نوالِه شرفٌ وعزٌّ ... وقبضُ نوال بعضِ القومِ ذامُ[3]
أقامتْ في الرِّقابِ له أيادٍ ... هي الأطوافُ والناسُ الحمامُ

(١) اللكام: جبل بالشام.
(٢) الركانة: الرزانة.
(٣) الذام: العيب.

إذا عُـدّ الكرامُ فـتلك عِـجْلٌ ... كـمـا الأنواءُ حين تُعـدّ عـامُ[١]
تقي جـبـهـاتُهم مـا في ذراهُمْ ... إذا بشـفـارِها حـمـيَ اللِّطامُ
ولو يمـتَـهُمْ في الحشـرِ تجـدو ... لأعطوْكَ الذي صلّوا وصـامُـوا[٢]
فـإنْ حلُمُـوا فـإنَّ الخـيلَ فـيـهمْ ... خـفـافٌ والرمـاحَ بهـا عُـرامُ[٣]
وعندهُمُ الجـفـانُ مكلَّلاتٍ ... وشـزرُ الطَّعنِ والضـربُ التُّـؤامُ
نصـرّعُـهُم بأعـيـننا حـيـاءً ... وتنبُـو عن وجـوهِهِمِ السّـهـام
قـبـيلٌ يحـمِلُون منَ المعـالي ... كـمـا حَـمَلَتْ من الجسـد العِظامُ
قـبـيلٌ أنت أنت وأنت منهمْ ... وجـدُّك بشـرٌ الملك الهُـمَـامُ
لمنْ مـالٌ تمزّقُـهُ العطايا ... ويُشـرَكُ في رغـائِبـه الأنامُ
ولا ندعـوكَ صـاحـبـهُ فتـرضى ... لأنَّ بصـحـبـةٍ يجبُ الذّمَـامُ
تحـايدُهُ كـأنّك سـامـريٌّ ... تُصـافـحُـهُ يدٌ فـيـهـا جُـذامُ
إذا مـا العـالمون عـروْكَ قـالوا ... أفـدْنا أيهـا الحـبْـرُ الإمـامُ[٤]
إذا مـا المعْلِمـونَ رأوْكَ قـالوا ... بهـذا يُعلَمُ الجـيشُ اللُّهـامُ[٥]
لقـد حسُنتْ بكَ الأوقاتُ حتى ... كـأنّكَ في فمِ الزمنِ ابتِـسـامُ
وأُعـطيـتَ الذي لـم يُعـطَ خلـقٌ ... عليكَ صـلاةُ ربِّكَ والسـلامُ

(١) عجل: قبيلة الممدوح.
(٢) تجدو: تطلب العطية.
(٣) عرام: شراسة.
(٤) تروك: أتوك.
(٥) اللهام: الكثير.